العرب
الجمعة 2020/01/10
السنة 42 العدد 11582

فيتو من إسلاميّي إندونيسيا على المشروع التركي في آسيا

دروس تجربة تنظيم القاعدة تؤكد ضرورة عدم الارتهان لمشاريع خارجية

بدت مساعي دول إسلامية غير عربية لتكوين رابطة إسلامية جامعة ارتكانًا لارتباطها الوثيق بالإسلاميين أقرب إلى الأوهام، نتيجة الاختلافات بين الدول التي نشأت بها تلك الحركات، ولعوامل تنظيمية تنحاز إلى مشروع إسلامي وطني وليس أمميا. ويرجح أن تعلن كيانات إسلامية جديدة في كل من إندونيسيا وباكستان وأفغانستان قريبا عن تبني البعد المحلي بديلا عن أممية إسلامية جديدة طاغية من قبيل المشروع التركي.

فك الارتباط مع مشاريع إسلاميين توسعية

هشام النجار
كاتب مصري

أصبح الجهاديون والحركيون في إندونيسيا الذين أنهكتهم المواجهات مع الأنظمة على مدى عقدين أكثر انحيازا إلى مسارات براغماتية تعزز علاقاتهم مع مجتمعاتهم وتطور حضورهم في المشهد السياسي والاجتماعي، وإن تطلب ذلك تقديم تنازلات تمس قناعاتهم الفكرية السابقة. وأيقنت تلك الفصائل أن ثمن حضورها السياسي، ولو كان هامشيا خلال هذه المرحلة، هو طمأنة حكوماتها بأنها لا تمثل تهديدا لها كما كانت في السابق، ومستعدة للنشاط العلني وفق شروط الدولة، تقديمًا للمصلحة الوطنية على مصالح الجماعات وانتصارًا للقومية لا الأيديولوجيا.

ساهم في هذه التحولات التعلم من دروس الشرق الأوسط واستيعاب تجارب المنطقة العربية ما بعد انتفاضات الربيع العربي، علاوة على هضم تجربة مراجعات الجماعات الجهادية في مصر.

خرجت تلك الفصائل بصيغ فكرية تمزج بين الوطنية والإسلام، وتتخذ من المشتركات القومية منطلقا للتوافق والتناغم مع الكيانات والهيئات المحلية، عوضا عن التأثر بالأفكار الأممية التي تواصل محاولات غزوها لهذه المناطق منذ الحرب الأفغانية مع جهود تنظيم القاعدة، وصولًا إلى محاولات تنظيم داعش، وأخيرًا مع مشروع الكونفدرالية الإسلامية الذي تطمح تركيا لتزعمه.

> يعتبر إسلاميو إندونيسيا أن مشروع أنقرة يعمل لخدمة القومية التركية أكثر منه مشروعًا لنصرة القضايا الإسلامية

اكتسبت الجماعات الإسلامية في إندونيسيا القوة والنفوذ الجماهيريين في بداية تأسيسها رغم طابعها الشمولي بحكم مرجعياتها الفكرية، لأنها مزجت بين البعدين الوطني والإسلامي، وروّجت لعملياتها ضد السلطة المحلية والسياح الأجانب، ليس فقط بوصفهم مناوئين لسلطة جمهورية إندونيسيا الإسلامية التي قدموا أنفسهم بوصفهم قادتها وزعماءها، إنما بوصفهم بقايا وفلول الاحتلال الهولندي بعد رحيله. كانت لحظة إعلان الاستقلال في عام 1945 مثالية للإسلاميين بقيادة عبدالله سونكا ونائبه أبوبكر باعشير لإعلان جمهورية إسلامية تحكم بالشريعة وفق تصوراتهم ولا تدين بالولاء والطاعة للسلطة القائمة.

قبل ذلك بأعوام قليلة كان ذلك السبب نفسه الذي منح جماعة الإخوان في مصر حضورها الشعبي. فعلى الرغم من مقولة أن تأسيسها كان بهدف استعادة الخلافة عقب سقوط السلطنة العثمانية في عام 1923، إلا أن التعبير عن رغبة الأمة في استعادة الخلافة لم يكن تأثيره يُقارَن بتأثير الترويج للجماعة ككيان يناضل في سبيل التحرر من الاستعمار.

صعود الوطن وهبوطه

خسر عموم تيار الإسلام السياسي العربي البعد الوطني في تصوراته وممارساته على الأرض بعد عام 2011، وصار معبرا عن مشروع خارجي مناهض للمصلحة الوطنية والقومية تحت شعارات أيديولوجية، وهو ما حرص الإسلاميون في إندونيسيا على عدم التورط فيه للحفاظ على ما تبقى من شعبيتهم ولقناعتهم بأن ما فعله إسلاميو العرب ضد المصلحة الحقيقية، ولا يخدم قضايا المسلمين العادلة.

حدث افتراق منهجي وحركي بين حالة الإسلام السياسي في المنطقة العربية، ونموذجه في إندونيسيا، عقب أحداث الثورات والمراجعات الفكرية للجهاديين العرب، بعد العديد من المراحل التي مر بها الجناح الإندونيسي، بداية من إعلان الجمهورية الإسلامية القائمة على النهج التكفيري الانفصالي حيث المسلمون هم فقط من ينضوي تحت لواء الجمهورية الإسلامية، مرورًا بالتأثر بمنهج الجماعة الإسلامية المصرية ليتحول الاسم إلى الجماعة الإسلامية بدلًا من الجمهورية الإسلامية في عام 1993، تزامنًا مع المشاركة في الجهاد بأفغانستان والاختلاط بتنظيمات الإسلاميين والجهاديين العرب.

أعلن إسلاميو إندونيسيا رفضهم نظام الخلافة بوصفه الصورة الموحدة للدولة الإسلامية شاملًا جميع شعوب الأمة المسلمة دون حدود الدولة القومية لأول مرة تزامنًا مع الثمن الفادح الذي دفعوه نتيجة التحالف مع تنظيم القاعدة الذي حول الساحة الآسيوية، خاصة الفلبين وماليزيا وإندونيسيا، إلى منصة لنفوذه وإطلاق عملياته الإرهابية، ليس فقط مستهدفًا الداخل الآسيوي إنما خصومه التقليديين في دول الغرب والولايات المتحدة.

جاءت استجابة الجماعة الإسلامية الإندونيسية (التي تعتبرُ الكيان الجهادي في جنوب شرق آسيا) في حدودها الدنيا لخدمة أهداف وتوجهات القاعدة واستراتيجية أسامة بن لادن، وتم الإعلان عن رفض فتوى قتال اليهود والنصارى وعدم المشاركة في تحالف جهادي إسلامي موسع تُصرف خلاله الطاقات البشرية خارج سياق الهدف الرئيسي، وهو تعزيز النشاط والحضور في الداخل الآسيوي.

لم يكن التنسيق بين القاعدة والجهاديين في إندونيسيا يحدث إلا بجهود منفردة لجبهة واحدة بقيادة رضوان عصام الدين، الشهير بحنبلي، الذي شارك بمجموعته الجهادية في غالبية عمليات القاعدة بجنوب شرق آسيا وبعض العمليات التي استهدفت الولايات المتحدة دون تنسيق مع القيادة العامة للحركة، وفي مقدمة تلك العمليات تفجيرات أعياد الميلاد في ديسمبر 2000 والهجوم على الكنائس في إندونيسيا، ثم تفجيرات بالي في 12 أكتوبر 2002.

ولم يعلم قادة الجماعة الإسلامية الإندونيسية من داخل القطاعات الأخرى بما قام به حنبلي بالتعاون مع تنظيم القاعدة وبتمويل من خالد شيخ محمد الذي كان مسؤولًا عن عمليات القاعدة في جنوب شرق آسيا والمشرف المباشر على نشاط حنبلي ومجموعته، بعيدًا عن علم قادة جماعته الإندونيسية الذين جاءتهم أخبار التفجيرات بعد وقوعها.

لم يؤدّ ذلك إلى القبض على شبكة حنبلي فقط، بل قاد إلى القبض على أعضاء مختلف القطاعات ليس في إندونيسيا فحسب، بل شملت الملاحقات شبكة الجماعة في كل من إندونيسيا وماليزيا وعموم دول جنوب شرق آسيا. صار يُلقى القبض على أي شخص يوفر الحماية لمجموعة حنبلي، ولذا انكشفت المجموعة بعد أن تم عزلها واضطرار قطاعات الجماعة الإسلامية الثلاث المتبقية إلى الانقلاب عليها حتى لا تدفع فاتورة ممارسات حنبلي ومجموعته.

ودفع هذا غالبية أعضاء الجماعة إلى الامتناع عن حماية مجموعة حنبلي، وإعلان مختلف القطاعات الإقليمية رفض ممارسات قطاع حنبلي، ما ترجمه ناصر عباس أحد قادة الجماعة بقوله "هم من تغوطوا ونحن من علينا أن ننظف لهم". استوعب إسلاميو إندونيسيا جيدًا درس تجربة تنظيم القاعدة ومؤداه التوجه إلى الداخل وعدم الارتهان بمشاريع خارجية.

تجاوز السردية الأممية

تشير تطورات الأحداث إلى أن الكتلة الأهم من إسلاميي إندونيسيا تجنح لمواءمات تنتصر للمصلحة الوطنية، وذلك منذ فك الارتباط بالقاعدة ثم انشقاق أمان عبدالرحمن زعيم تنظيم أنصار الدولة الموالي لداعش، وهو الفصيل الجهادي الوحيد بإندونيسيا الذي يعتنق الخلافة بطرحها الأممي والذي نفذ عمليات إرهابية عبر الذئاب المنفردة والعمليات العائلية، وإطلاق سراح أبوبكر باعشير رئيس مجلس المجاهدين في يناير 2019 وانخراط الجهاديين التقليديين في المشهد السياسي والمنافسات الانتخابية.

ويرفض إسلاميو إندونيسيا الانجرار وراء مشاريع أممية خارجية سواء تلك التي يتزعمها تنظيم داعش، أو التي تقودها تركيا وإيران وقطر انطلاقًا من جنوب شرق آسيا لإنقاذ مشروع الإسلام السياسي بعد تراجعه بالمنطقة العربية.

تجاوزت الكتلة الإسلامية الأهم في إندونيسيا السردية الأممية التي طرحتها قمة كوالامبور التي كان يخطط لها كي تكون إيذانًا بانطلاق مشروع تأسيس كونفدرالية الخلافة التي تضم 61 دولة تحت قيادة رجب طيب أردوغان.

التقط الإسلاميون في إندونيسيا التناقض في بنية هذا المشروع الأممي منذ إعلان انفصالهم عن خطط تنظيم القاعدة، عبر قناعة مفادها أن الجهود التي تُصرف في إضعاف وتمزيق واقع إسلامي محلي لا يُرجى منها تقوية الأمة الإسلامية، وأن إضعاف قدرات النظام العربي عبر ممارسات الإسلام السياسي المدعوم من تركيا وإيران وقطر أضعف قدرات الأمة الإسلامية في انتزاع حقوق تؤمن بها وتناضل من أجلها.

يجد إسلاميو إندونيسيا أن مشروع الأتراك يعمل لخدمة القومية التركية أكثر منه مشروعًا لنصرة القضايا الإسلامية، في وقت اعتبر فيه الأتراك ومعهم إسلاميون عرب أن توحيد أمة العرب مناهض للإسلام، لذا يستهدفون تقويض الكيانات الجامعة وأي مظهر من مظاهر الوحدة العربية، وهذا ينسحب على مختلف القوميات الآسيوية، وأصبح إسلاميو آسيا مطالبين بمناهضة قومياتهم دعما للمشروع الأممي.

يرجح هذا الطرح لدى الإسلاميين في إندونيسيا ما يُجْرونه من مقارنات بين مصر وتركيا من جهة، وبين المملكة العربية السعودية وتركيا من جهة أخرى، حيث يتندرون على من يروج لفرضية أن تركيا العلمانية التي لا تطبق الشريعة ولا تحظر العري والبغاء تتقدم لزعامة المسلمين وأنها أكثر إسلامًا من بلاد الحرمين ومن مصر بلد الأزهر الشريف، علاوة على أنهم يستنكفون تلك الزعامة على بلادهم التي تعد أكبر دولة إسلامية في العالم من حيث عدد السكان.

بات قادة التيار الإسلامي في إندونيسيا على قناعة بأن الأمة بحاجة إلى رؤى جامعة لا إلى أيديولوجيا سياسية لفريق بعينه تكرس الفرقة والتشرذم، وأن تورط الإسلام السياسي العربي في المشروع التركي أدى إلى إضعاف المجال الإسلامي السني عبر مشاكسة السعودية وإدخال تنظيمات متطرفة سنية إلى حلبة المنافسة، وإنتاج نسخ أصولية تتصارع فيما بينها من جهة ومع القوى العربية السنية القائمة من جهة أخرى بزعم احتكار تمثيل المسلمين السنة.

يراهن مفكرو هذا التيار على المزاوجة بين الفكرة الوطنية والبعد الإسلامي، كصيغة تعزز الدولة الوطنية، كونها الوحيدة القادرة على احتواء التنوعات الإثنية تحت عنوان المساواة والمواطنة، وعدم السماح باختراقها بمشاريع أيديولوجية من شأنها تفجير كيان الدولة وتفتيتها إلى كيانات متصارعة في ظل ازدهار النزعات الانفصالية للأقليات ودعمها من قوى خارجية.

الغرياني المهزوم يبحث عن نجاة بالتحريض على حفتر

أحمد القدوة
صحافي فلسطيني

لم يصدّق الليبيون أن بلدهم سيغرق في فوضى وانفلات أمني لا سابق لهما نتيجة انتشار السلاح والميليشيات وغياب أيّ حكومة قوية قادرة على فرض الأمن والاستقرار منذ أحداث 2011 وما أعقبها.

نجح قادة الميليشيات بالاستعانة بفتاوى شيوخ وأئمة محسوبين على الجماعات المتطرفة في تثبيت نفوذهم داخل البلد الغارق في الفوضى. لم تنجح أيضا أيّ محاولة لبناء نظام سياسي قادر على إنهاء مخلفات الحرب وفوضى الميليشيات التي عززت، بدورها، مكاسبها بفضل سياسات داخلية وخارجية شجعت التنظيمات المسلحة على بثّ الفوضى.

ظهر في ليبيا عقب الإطاحة بنظام معمر القذافي الكثير من الشيوخ والأئمة الداعين إلى التطرف وتغذيته عبر فتاوى تخدم مصالح جماعات سياسية ومتطرفة. كان الصادق الغرياني، مفتي الديار الليبية المقال من منصبه، أحد الأذرع القوية ومن بين هؤلاء الشيوخ الذين يبشرون على الدوام بـ"الجهاد ضد الصليبيين". لا أحد حتى اللحظة يعرف من هم "الصليبيون"؟

استعاد الغرياني في الفتاوى الغريبة التي داوم على بثها طوال الأزمة الليبية، خطابات وأدبيات غريبة، وعمل على توظيف آيات وسور قرآنية لغايات تدعم خطاب التطرف وتغلب كفة الاقتتال بدل التصالح، بل سلك طريق التحريض ضدّ دول عربية مختلفة، كان من أبرز ذلك فتواه ضد السعودية والتي تحث "على عدم أداء مناسك الحج والعمرة لأن الأموال ذاهبة للسعودية".

حاول الغرياني في ظهوره على قناته "التناصح" الممولة من قطر استخدام خطابه التحريضي المعتاد. استنجد بالحرب الصليبية لإثارة نفوس الليبيين ضد الجيش الذي يقاتل بكل قوة من أجل استعادة طرابلس الواقعة تحت سيطرة الميليشيات. اعتبر الغرياني أن الميليشيات تقاتل "حلفا صليبيا صهيونيا"، في محاولة يائسة لحشد الليبيين لأنه يرى أنّ لا مظاهر في طرابلس العاصمة توحي بأيّ تأثر وتأثير للمعارك على مجريات الناس. لا يبدو أن هناك من يهتم بحكومة الوفاق والميليشيات المحيطة بها، وما ظهر من كلام الغرياني أن الجميع يستعجل قدوم الجيش لتحريره من بطش الميليشيات.

الليبيون يعرفون أكثر من غيرهم ماذا يريد الغرياني من ظهوره عند وقوع الأزمات ولصالح من يعمل؟ وما الدافع وراء الفتاوى التي يصدرها بين الحين والآخر؟ ما يريده الغرياني هو الحفاظ على طابع التطرف المنتشر في ليبيا بعد ما عرف بثورات الربيع العربي.

تناسى مفتي ليبيا مَن جلب حلف شمال الأطلسي عام 2011 للتعجيل بإسقاط نظام القذافي بدعم مكشوف من قطر ومفتي الإخوان يوسف القرضاوي. الأزمة في ليبيا لا يمكن أن تنتهي من دون التخلي نهائيا عن لغة السلاح وفوضى الميليشيات المتطرفة المنتشرة في أكثر من مكان وعن هؤلاء الشيوخ الذين يفتون بجواز القتل على حرية التعبير والاختلاف والحريات العامة.

فتاوى للتأجيج

يقول الغرياني لهؤلاء الذين يقاتلون في صفوف الميليشيات "إذا حُرمتم من الجهاد في فلسطين فقد جاءكم إلى بيوتكم". تجارة من نوع آخر وأدبيات فكرية ودينية موظفة لخدمة أجندات سياسية واضحة. تبرير القتل في الأوطان بحجة الجهاد ضد "أعداء الدين" والاستعانة بالقضية الفلسطينية وبعدها العاطفي في العالم العربي لجلب التعاطف مع تنظيمات وحركات إسلامية أثبتا فشلهما في أكثر من مناسبة.

هناك خلط واضح في الكثير من المفاهيم والخطابات الدينية التي يستخدمها هؤلاء الشيوخ والأئمة دون أي رقيب أو حسيب، يقول الغرياني عن المعركة الدائرة بين الجيش وحكومة الوفاق "إذا ضيقنا عليهم الموت نراهم يرفعون صلبانا"، وكأن الجيش يقاتل ملائكة في طرابلس لم يسرقوا قوت الليبيين ويحرموهم من مقدرات بلدهم الذي جعلوه خرابا ما بعده خراب.

لم يترك قادة جماعات الإسلام السياسي الدين جانبا في معاركهم السياسية في بلدانهم. استغل الدين في الكثير من الملفات السياسية لتصفية الحسابات مع الخصوم، واستخدم أيضا كأداة لتكفير الخصوم السياسيين وإخراجهم من "الملة" أو لتبرير أفعالهم وسياساتهم المختلفة. والأمثلة كثيرة في العالم العربي على هذا الاستغلال القذر للدين في معارك السياسة.

في العالم العربي وباختلاف تركيبة بلدانه المجتمعية والثقافية وحسب حجم انتشار الحركات الإسلامية وتصنيفاتها وأنواعها وولائها، أصدر شيوخ وأئمة هذه الحركات الكثير من الفتاوى لتبرير القتل وتنفيذ هجمات إرهابية واغتيالات لشخصيات سياسية وثقافية وعلمية لأنها عارضت أهداف الجماعات الإسلامية وذلك منذ تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في عشرينات القرن الماضي. وبعد هذه السنوات ماذا جنى عالمنا العربي من هؤلاء غير الفوضى والمزيد من الدماء والتشتت؟ والسبب التوظيف الخاطئ لنصوص الدين التي يتأولها البعض دون علم ومعرفة.